# السيميائية القانونية وبناء الحضارة الإنسانية

**الدكتور عبد المجيد خطوي**
**أستاذ محاضر بكلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة غرداية –الجزائر**
**prof.khatoui@gmail.com**
**khatoui.abdelmadjid@univ-ghardaia.dz**

**مستخلص البحث:**
لقد جاءت السيمائية لتقريب العلوم الإنسانية من الواقع الإنساني، بحيث تهتم بإنتاج العلامات والصور واستخدامها، هذا وتتجلى الأنظمة السيمولوجية من خلال العلاقات بين هذه العلامات. والسيميائية ومهما كانت مسمياتها او اختلفت أصولها وهيكلتها فهي من المعارف التي تهتم منذ ظهورها بتفسير المعاني والعلامات والرموز والصور، الامر الذي ساهم في انتقالها الى الدراسات الحديثة. هذا وقد انتشرت المنهجية السيميائية في الحضارات الانسانية القديمة خاصة القانونية منها. من خلال تلك القطع الاثرية المكتشفة في الحضارة العراقية الميزبوتامية والفرعونية وغيرها من الحضارات القديمة. هذا الارث التاريخي ساهم في تطور القوانين الحالية.

**الكلمات المفتاحية**: السيميائية، القانون، الحضارة الإنسانية، بلاد الرافدين، حمورابي، طاسيلي.

## المقدمة Introduction:

إن أي نظام قانوني سائد في أي مجتمع ليس وليد اللحظة، بل نتيجة مجموعة ترسبات ومقومات تاريخية متكاملة، ذلك أن التطور التاريخي لا يكون دون مغزى أو معنى دون فهم النظم القانونية أو بحث جذورها التاريخية؛ إذ أنه أية فكرة لا يمكن فهمها فهما جيدا إلا من خلال تاريخها؛ ولذا قيل أن أية مشكلة إذا قررنا معالجتها بطريقة علمية يجب أن نبحث كيف نشأت وكيف تطورت وماذا أصبحت. هذه النشأة تخضع لمكونات تاريخية واقعية في المجتمع الانساني. والقانون في أصله فكرة نشأت تحت ضغط مجموعة عوامل متعلقة بالسلوك الإنساني مع بعضه البعض، وقد حدد إطار هذه الفكرة ومضمونها في الوسط الاجتماعي الذي يحيط بالإنسان ومدى تفاعله معه؛ بالإضافة إلى دور تلك المؤثرات السياسية والاقتصادية في شئون الحكم والنظام في المجتمع، دونما اغفال لدور الدين في نشأة القانون وتطوره. لذلك يجمع الفقهاء أن القانون نشأ من تداخل مجموعة عوامل أساسية هم: المجتمع والدين والدولة والاقتصاد والفكر الإنساني واختراع الكتابة التي تعد اللبنة الأولى والاساسية لنظم البحث العلمي المختلفة من خلال نصوص قانونية موضوعها الأساسي تنظيم العلاقات الاجتماعية فيما بين الأفراد في المجتمع، على نحو يكفل حقوق الإنسان بالمعنى الواسع لمفهوم حقوق الإنسان وهي في مفهومها مجموعة الحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. (حسين،2010: 3) وقد قسم الباحثون العصور البشرية الى عصر ما قبل التاريخ أو عصر ما قبل الكتابة ثم عصر ما بعد التاريخ بعد أن تعلم الانسان الكتابة وطورها من الكتابة التصويرية السيميائية و يدخل مفهوم السيميائية ضمن علم ( السيميولوجيا) وتعني العلامة . ويعرفه بأنه:" علم يدرس العلامة ومنظوماتها (أي اللغات الطبيعية والاصطناعية) كما يدرس الخصائص التي

تمتاز بها علاقة العلامة التصويرية بمدلولاتها. وصورها الدلالية ثم الرمزية الى أن وصلت الى الشكل التي هي عليها الان، وبالتالي ظهور الاشكال الاولى للبحث العلمي ومعه أشكال التنظيم القانوني. لذلك جاء موضوع هذه العلمية باحثا في إشكالية تطور سيميائية النص المكتوب ووصوله الى جودة التدوين القانوني من خلال نمذجة تدوينية تصنيفية تأليفية بين جمود التصنيف وحيوية التأليف.وعليه سنبحث في الحضارات الانسانية القديمة كحاضنة أولى للبحث العلمي قديما بمظاهرها الانسانية ومدى مساهمة وتطور سيمائية النص القانوني تصويريا، رمزيا وهجائيا في جودة البحث العلمي الحديث.

**المبحث الأول: الإنتاج الحضاري والفكري والبداية السيميائية**

## Cultural and intellectual production and the semiotic beginning

إن خصوبة الأرض الزراعية في منطقة الهلال الخصيب جعلها ملتقى للطرق العالمية أنداك، الأمر الذي ادى الى توافد العديد من شعوب العالم القديم للمنطقة خاصة السومريون وغيرهم من الشعوب السامية. وتظهر الحضارة الانسانية جلية من خلال الانتاج الحضاري والانساني وكذا النظم السياسية والقضائية. يتجلى الانتاج الفكري في اكتشاف الكتابة خاصة المسمارية والتي تتميز بأحرفها المكونة من مقاطع على شكل مسامير وقد عرفت عدة تطورات فتحولت كما ذكرنا سابقا من كتابة تصويرية سيمائية الى رمزية كان يتم نقشها في الاغلب فوق ألواح الطين والحجر، والشمع والمعادن وغيرها. وهذه الكتابة كانت متداولة لدى الشعوب القديمة بجنوب غرب آسيا. لكن قبل التطرق لمظاهر الانتاج الحضاري و الفكري لابد من توضيح المقصود بمفهوم السيميائية وعلاقته بالحضارة الانسانية وحركة تدوين القانون.

**المطلب الاول: مفهوم السيميائية وعلاقتها بالحضارة الإنسانية**

## The concept of semiotics and its relationship to human civilization

تم اختراع الكتابة التصويرية في بلاد ما بين النهرين قبل العام 3000 قبل الميلاد حيث كانت تدون بالنقش علي ألواح من الطين أو المعادن أو الشمع وغيرها من المواد. وتطورت الكتابة من استعمال الصور إلى استعمال الأنماط المنحوتة بالمسامير والتي تعرف بالكتابة المسمارية. هذا التطور لأنماط الكتابة اضحى اطارا تاريخيا منهجيا للبحوث الاكاديمية السيميائية أو ما يعبر بفكرة البحث ما وراء النص القانوني أو غيره . وهناك من يطلق عليه اسم علم **العلامات** او علم الدلالات أو بشكل أدق **السميوطيقا** وهو علم يدرس أنساق العلامات والأدلة والرموز، سواء أكانت طبيعية خام أو غير ذلك ومن ثم، فإن إدراك معنى الأقوال والنصوص القانونية يفترض وجود نظام مبني على مجموعة من العلاقات التي كانت سائدة في عصر معين ومع ذلك مازال مفهوم السيميائية كمصطلح تطبيقي قبل ان يكون نظري , بعيد عن الأذهان وغير جلي بالنسبة لكثير من النقاد، وتقول بهذا الصدد الدكتورة، د.سعدية موسى حسن البشير: بالرغم من أن الكثيرين قد حاولوا جادين تقريب مفاهيم هذا العلم (السيميائية) إلى الأذهان إلا أنه لا يزال يعاني عدم التمكن من الأداة المعرفية التي يقدم بها مسائله .وكذلك يشكو كثير ممن ولج أبوابه من اختلاف مصطلحاته وتعددها لدرجة تؤدي إلى تعدد خطابه .ومع ذلك فإن هذا لا يمنعنا من القول إن أوسع فضاء للسيميائية هو بلا شك : حقل الكتابة والعلوم التي يحتويها كالقانون و اللغة

والأدب...الخ . ومعنى السيميائية لغةً: السِّيمَاء والسِّيمِيَاء، بياء زائدة: لفظان مترادفان لمعنى واحد. وقد ورد ذلك في كتاب الله ، لكن مقصوراً غير ممدود، أي بلا همز، هكذا: (سِيمَا). قال ـ تعالى:{سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ} (الفتح: 29) . وقال ـ سبحانه أيضا:{تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ} (االبقرة: 273) والسِّيمَاءُ في معاجم اللغة: هي العلامة، أو الرمز الدال على معنى مقصود؛ لربط تواصل ما . فهي إرسالية إشارية للتخاطب بين جهتين أو أكثر. والسُّومة والسيمة والسيماء والسيمياء: العلامة، والخيل المسوَّمة: هي التي عليها السمة. ومن هنا ظهر علم ( السيميولوجيا ) وتعني العلامة . ويعرفه بأنه :" علم يدرس العلامة ومنظوماتها ( أي اللغات الطبيعية والاصطناعية ) كما يدرس الخصائص التي تمتاز بها علاقة العلامة بمدلولاتها . سواء كانت تصويرية أو رمزية في بعدها التخيلي. أي تدرس علاقات العلامات والقواعد التي تربطها أيضا. وذلك منذ البدايات الاولى لظهور الكتابة في بلاد وسط النهر ميزوبوتام أو الحضارة الفرعونية أو الصينية الأشكال أدناه تظهر بوضوح ذلك. واليكم بعض نماذج الكتابة التصويرية:

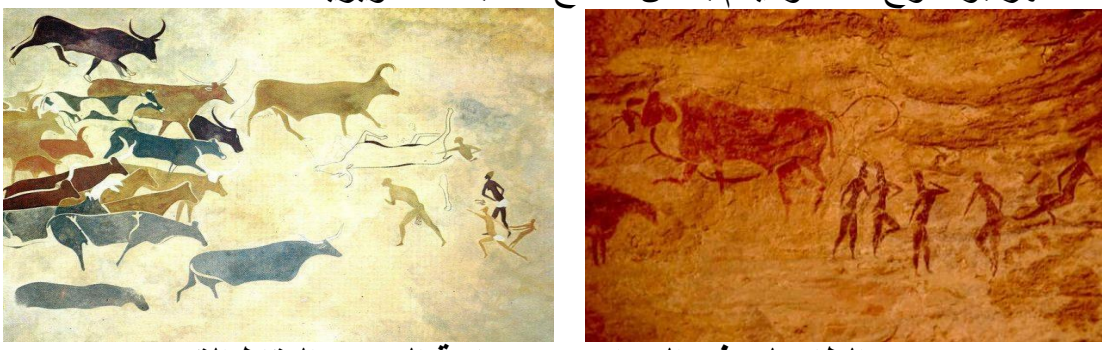

**رسوم الطاسيلي في الجزائر وسيميائية الصيد والتقاط القوت**

**الكتابة الفرعونية والسيميائية التصويرية**

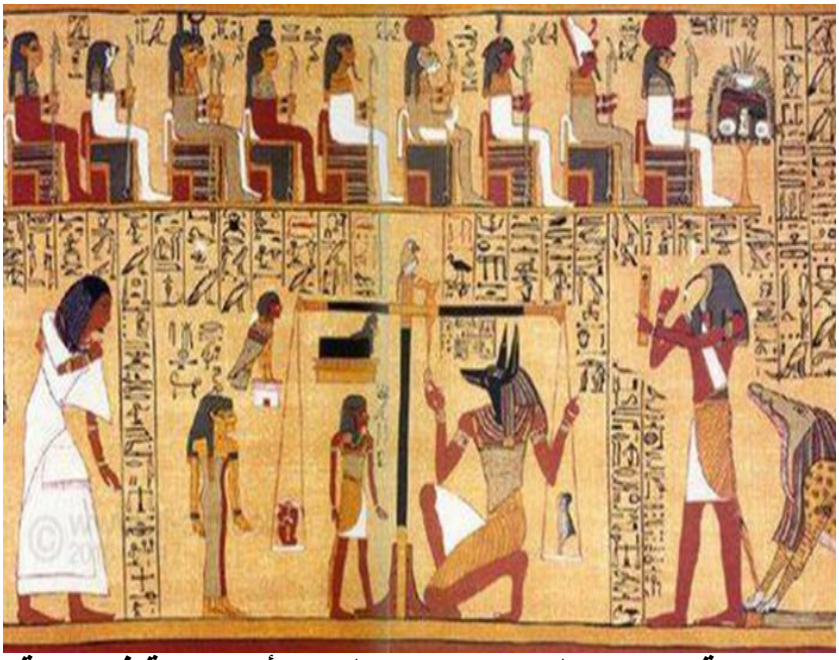

**سيميائية ودلالات الحساب ما بعد الموت أو محكمة فرعونية**

| هيروغليفي | عربي | قبطي | انجليزى | النطق |
|---|---|---|---|---|
| | أ | ⲁ | a | فتحه- همزه |
| | ى | ⲓ | i | كسره |
| | ع | ⲁ | a | ع |
| | و | ⲟ | o | ضمه |
| | ب | ⲃ | b | ب |
| | بى | ⲡ | p | بى |
| | ف | ⲫ | f | ف |
| | م | ⲙ | m | م |
| | ن | ⲛ | n | ن |
| | ر | ⲣ | r | ر |
| | هـ | ⲏ | h | هـ |
| | ح | ϩ | h | ح |

| هيروغليفي | عربي | قبطي | انجليزى | النطق |
|---|---|---|---|---|
| | خ | ⲭ | kh | خ |
| | غ | ⲅ | gh | غ |
| | س | ⲥ | s | س |
| | س | ⲥ | s | س |
| | ش | ⲯ | sh | ش |
| | ق | ⲕ | q | ق |
| | ط | ⲧ | tt | ط |
| | ج | ⲅ | g | ج |
| | ت | ⲧ | t | ت |
| | ث | ⲑ | th | ث |
| | د | ⲇ | d | د |
| | ز | ⲍ | z | ز – ص |

**تحول الى الكتابة قبطية**

السيميائية القديمة ظهرت بعد اختراع الكتابة التصويرية في بلاد ما بين النهرين قبل العام 3000 قبل الميلاد حيث كانت تدون بالنقش علي ألواح من الطين أو المعادن أو الشمع وغيرها من المواد. وتطورت الكتابة من استعمال الصور إلى استعمال الأنماط المنحوتة بالمسامير والتي تعرف بالكتابة المسمارية. وأول كتابة تم التعرف عليها هي الكتابة السومرية والتي لا تمت بصلة إلى أي لغة معاصرة. وبحلول عام 2400 قبل الميلاد تم اعتماد الخط المسماري لكتابة اللغة الأكادية، كما استعمل نفس الخط في كتابة اللغة الآشورية واللغة البابلية، وهي كلها لغات سامية مثل اللغتين العربية والعبرية. وتواصل استعمال الخط المسماري للكتابة في لغات البلاد المجاورة لبلاد ما بين النهرين مثل لغة الحيثيين واللغة الفارسية القديمة، وكانت تستعمل إلى نهاية القرن الأول الميلادي.

ورغم صعوبتها الكتابة أنذاك إلا أنها تضمنت فوائد عديدة على المستوى السياسي بتدوين السجلات والدووين والمراسلات الادارية .وعلى المستوى الفكري والقانوني تجلى دور الكتابة في توثيق القصص والاساطير والمدونات القانونية المختلفة التي سنتطرق لأهما لاحقا.

**تطور الكتابة التصويرية الى الرمزية Graphic writing evolved into symbolism:**

**الكتابة المسمارية Cuneiform writing:**

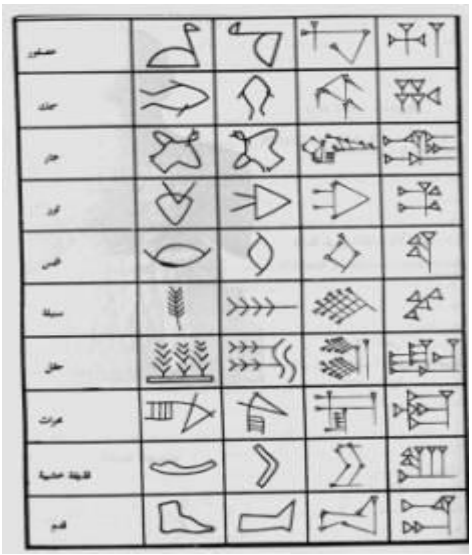

| المعنى | رموز كتابية حوالي ٣٠٠٠ ق.م | كتابة مسمارية حوالي ٢٠٠٠ ق.م | آشورية حوالي ٧٠٠ ق.م | بابلية حوالي ٥٠٠ ق.م |
|---|---|---|---|---|
| الشمس | | | | |
| إلة أو سماء | | | | |
| جبل | | | | |
| رجل | | | | |
| ثور | | | | |
| سمكة | | | | |

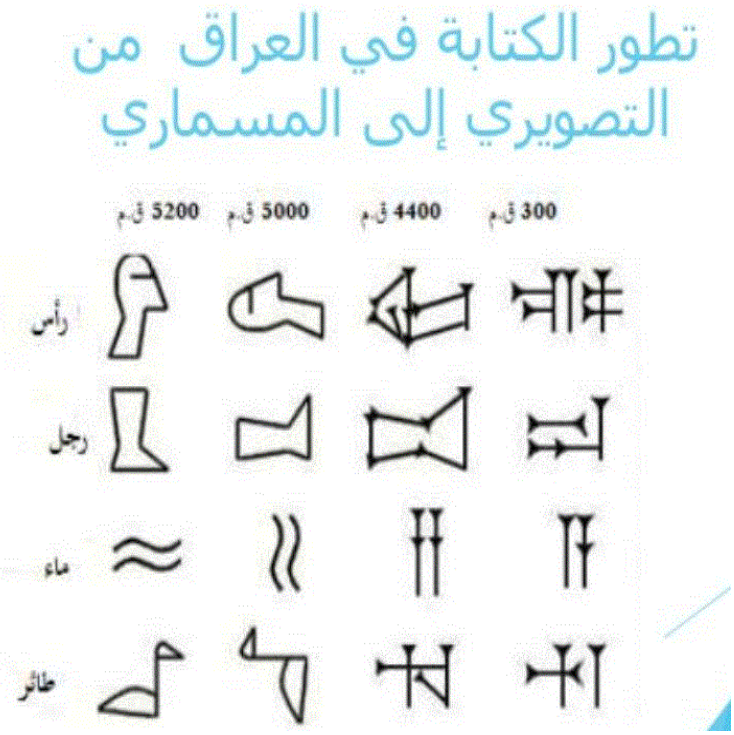


**أما السيميائية الحديثة** تدرس علاقات العلامات والقواعد التي تربطها أيضا. فقد تطورت السيميائية في القرن العشرين وأصبحت حقلاً معرفيا واسعا، يضم علوما لغوية وكتابية كثيرة ومنها القانون. وعلم السيمياء الدلالي الحديث يستعمل الية الحجية أو الحجاج القانوني كما أتى بها العالم **بيرلمان** القائمة على تحريض المستمع قصد إقناعه بموافقة إدعاء المدعي، لهذا كانت الحجج القانونية دعامة أساسية في تأويل النصوص القانونية، **فبيرلمان** يرجع لتأكيد إدعائه إلى التجربة المختصة للقضاة، ومنهم البروفيسور **تارلو** في مداخلته المكرسة لخصوصية التفكير القانوني، ممتحنا في ذلك ثلاثة عشرة حجة، قصد تأويل النصوص القانونية ، بتوظيفنا للقصد المسند للمشرع و الحجج القانونية أهمها ثلاث حجج دلالية (بلعايد،2005: 38):

**1- الحُجَّة المُضادَّة (المُعاكِسة) (opposite) Counter-argument:**

تعد إجراء خطابيا يحمل قوة إلزامية لمن وجه إليه الخطاب القانوني، ويسقط عن الباقي، فمثلا النظام القانوني الذي يوجب على كل شاب بلغ سن العشرين، بأن يؤدي واجب الخدمة العسكرية، فتستدل بالمضادة أن هذا الواجب الملتزم لا يخص فئة الفتيات لأنهن لم يخاطبن به.

**2- الحجة المماثِلة (المشابهة) The Similar Argument:**

وتكمن في مشابهة ومماثلة القواعد القانونية لبعضها البعض، ومساواتها في القوة الإلزامية، فإذا الزمت القاعدة القانونية الأشخاص بعدم اصطحابهم كلابهم إلى المستشفى، فهذه القاعدة تماثل في القوة القاعدة المانعة الاصطحاب الحيوانات في الأماكن الخاصة. كذلك المماثلة بين التدخين والمخدرات.

**3- الحجة الدامغة (القوية) The irrefutable argument:**

هذه الحجة إجراء خطابي بيد رجل القانون، فهو توصيفه للقضية القانونية يعرضها على

اقوى الحجج عنده، وهو النص القانوني لا يعدوه إلى ما دونه إلا احتياطا التفسير أورفع غموض النص (بلعايد،2005: 39) كما جاء في المادة الأولى من القانون المدني الجزائري والتي جاءت كالاتي: (يسري القانون على جميع المسائل التي تتناولها نصوصه في لفظها أو في فحواها. وإذا لم يوجد نص تشريعي، حكم القاضي بمقتضى مبادئ الشريعة الإسلامية، فإذا لم يوجد فبمقتضى العرف. فإذا لم يوجد فبمقتضى مبادئ القانون الطبيعي وقواعد العدالة.)

## المطلب الثاني: الحضارة الإنسانية، مرحلة تدوين القانون

## Human civilization, the stage of law codification

منذ قديم الأزل يسعى الإنسان لتدوين تاريخه ومراحل حياته الهامة بشتى الطرق، فإذا نظرنا للإنسان البدائي نجد أنه قام بحفر بعض النقوش والرموز على جدران الكهوف التي سكنها حتى يترك أثراً يخبر من سيأتي بعده أنه كان هنا، لولا هذه الرموز ما عرفنا شيئاً عن حياة الإنسان الأول ومراحل تطورها، لكن هذه الطريقة لم تكن فعالة بما فيه الكفاية حتى تسمح للإنسان بتسجيل كل ما يرغب، لذلك كان لابد من وسيلة أخرى أكثر تطوراً ومرونة حتى يكون له الحرية في تسجيل ما يشاء بمنتهى الدقة، من هنا ظهرت الكتابة في بلاد ما بين النهرين فيما بين أعوام 3000-3500 قبل الميلاد أين كانت البدايات الأولى للكتابة، وبعد ذلك بفترة يسيرة تجلت سمات واضحة للتدوين في وادي النيل، ثم ما لبث عقب ذلك أن تطورت أساليب الكتابة في بلاد الشام والجزيرة العربية، وتبلورت أسسها التي أضحت أصلا لأغلب اللغات العالمية المعروفة في حاضرنا المعاصر. لذلك سنتطرق لتطور أساليب الكتابة ثم دور الكتابة في تدوين القوانين.

### الفرع الأول: تطور أساليب الكتابة عبر التاريخ

### The evolution of writing styles throughout history

وتطور أساليب الكتابة مر بمرحلتين هامتين الفيصل بينهما قبل وبعد الأبجدية فالمرحلة التي سبقتها هي مرحلة البدايات الاولى للكتابة، ومن اهم خصائص الكتابة خلال هذه المرحلة انها بدأت تصويرية، اي تصوير الاشياء المادية لتدل على المعاني المعنوية، وفي فترة لاحقة من تاريخ هذا النوع من الكتابة جردت الرموز الكتابية من السمة التصويرية واصبحت كتابة رمزية، ذات اصوات مقطعية. ومن نماذجها الخط المسماري الذي يكتب على شكل مسامير جمعها يشكل رموز والخط الهيروغليفي ظهر في بلاد النيل، وكلمة هيروغليفية تعني بالإغريقية نقش مقدس وظلت الهيروغليفية ككتابة متداولة حتي القرن الرابع ميلادي. وظهرت الهراطقية كنوع من الكتابة لدي قدماء المصريين، وهي مشتقة من الهيروغليفية. لكنها مبسطة ومختصرة، وهي مؤهلة للكتابة السريعة للخطابات والوثائق الإدارية والقانونية. وكانت هذه الوثائق تكتب بالحبر علي ورق البردي. وظلت هذه اللغة سائدة بمصر حتى القرن السابع ق.م. بعدما حلت اللغة الديموطقية محلها. أما مرحلة الابجدية الحديثة ظهرت بعد عجز الكتابة التصويرية والمقطعية المتمثلة في الخط المسماري والهيروغليفي عن مواكبة متطلبات العصور اللاحقة، وكون الكتابة التصويرية القديمة تتطلب اتقان مئات من الرموز من أشخاص فنيين ، لذلك لجأ الانسان في مناطق متفرقة من الشرق الاوسط مستنيرا بتجارب طويلة الى اختراع كتابة هجائية مختزلة يمثل فيها كل رمز صوتا محددا وقائما بذاته. ويتمثل هذا النوع من الكتابة في الخطوط السامية

الشمالية والجنوبية وفروعهما المختلفة وكذا في الكتابة اليونانية واللاتينية وما تفرع عنهما. صور حول الكتابة شكل

## الفرع الثاني: دور الكتابة في تدوين القوانين

## The role of writing in codifying laws

بفضل اكتشاف الكتابة وتطورها قامت تلك المجتمعات بتدوين بعد قوانينها خاصة في بلاد ما بين النهرين وبلاد النيل فانتشرت وتطورت بسرعة ولعل أفضل مثال على ذلك قانون حمورابي وباقي القوانين العراقية القديمة مثل أورنامو وألبت عشتر وأشتونا وتشريعات الفراعنة والاغريق والرومان. فاتجهت هذه المجتمعات إلى تدوين قانونها ونشره بين الناس إما في صورة مدونات قانونية يصدرها المشرع بعد ما اشتد ساعد الدولة وتتضمن كل أو بعض ما ساد لدى الشعب من تقاليد عرفية وما استحدثه المشرع من تعديلات فأصبح التشريع مصدرا للقانون، وإما في صورة سجلات عرفية لا تصدر عن المشرع ولكن يقوم بها الأفراد المتخصصون، ويطلق عليها من باب التجوز في التعبير ومن باب التعميم لفظ "مدونات". والتدوين رغم أهميته البالغة لا يمثل مرحلة جديدة في نشأة القاعدة القانونية لأنه يقتصر على تسجيل ما هو قائم. فمرحلة التدوين هي في حقيقتها استمرار لمرحلة سابقة هي التقاليد الدينية أو التقاليد العرفية.

## المبحث الثاني: نحو جودة التدوين القانوني قانون حمورابي انموذجاً

## Towards the Quality of Legal Notation: The Hammurabi Law as a Model

سنتطرق لأهم أقسام ومكونات القانون وطبيعته القانونية. ومدى مساهمة مدونة حمورابي في فكرة جودة القانون.

## المطلب الأول: مكونات وأقسام قانون حمورابي
## Components and sections of Hammurabi law

تتكون نصوص مدونة حمورابي المنقوشة على حجر محفوظ في متحف اللوفر في باريس من عدة أسطر وأعمدة قسمها القس شيل - الذي قام بنشر هذه النصوص وترجمتها - إلى 282 مادة مسبوقة بديباجة وتليها خاتمة. وفي أعلى النقش نجد رسما يصور من يعتقده الاها حسبه ممسكا بكتاب وأمامه حمورابي ينصت في خشوع واحترام إلى ما يمليه عليه من نصوص القانون. وفي ديباجة القانون يعلن الملك حمورابي اعتماده على سلطته الإلهية، و حثه على أداء واجباته بإقامة العدل وحماية الناس. وفي الخاتمة يطالب الملك الناس باحترام قانونه ويعد من ينفذه برضا الآلهة حسبه ويتوعد المخالفين بعذاب عظيم من الآلهة معاذ الله طبعا. أما مواد القانون فقد تعرضت بإيجاز للتنظيم القضائي وإجراءات التقاضي، القانون الجنائي، ملكية الأراضي، أهم العقود، الزواج والأسرة والإرث. (ابو طالب ،1978: 128) وعليه سوف يتم تحديد هذه الاقسام وفق ثلاثة عناصر اساسية:

**أولاً: المقدمة Introduction**

كتبت هذه المقدمة وفق اسلوب ادبي تناولت اسباب اصدار هذه المدونة لسيادته بحكم بابل وتوحيد الدويلات سياسيا ودينيا وعن مدى رضى الاله عن حكم الملك حمورابي، وكذلك تحدثت المقدمة عن تحقيق العدالة الافقية التي تكون على مستوى الطبقات فيما بينها وتعميم المنفعة والخير بين الناس، وقد جاء في هذا:" بإسمي انا الامير التقي الذي يخشى الاله لأوطد العدل واقضي على الخبث والشر في البلاد" القائد للبلاد اقمت اسس العمل والعدالة. وقد قال تعالى: "وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ." (يونس:18)

**ثانياً: المتن (النصوص القانونية) Legal texts**:

احتوى القانون على 282 مادة نقشت على شكل اعمدة بلغ عددها 51 عمود باللغة البابلية وبالخط المسماري وكانت هذه المواد منظمة بأسلوب قانوني عملي حيث نفترض المادة واقعة قانونية ثم تحدد نوع الجزاء المناسب لهذه الجريمة او الواقعة ومثال ذلك :

المادة الاولى:

اذا اتهم احد شخص اخر والقى عليه تهمة القتل ولكنه للم يستطع اثباتها فإنه يعدم.

المادة الرابعة عشر:

اذا قام شخص بسرقة ابن اشخص اخر فيجب ان يعدم.

المادة السادسة عشر:

اذا خبأ شخص في بيته عبداً هاربا او أمة هاربة تابعين للقصر ولم يستجيب لصوت المنادي فصاحب البيت يعدم .

المادة 128:

اذا اتخذ شخص زوجة ولم يدون عقدها فإنها ليست زوجة شرعية له .

المادة 197:

إذا اعتدى شخص على شخص آخر وكسر عظمه فإن عظم المعتدي يكسر.

المادة 182:

اذا قال عبدا لسيده أنت لست سيدي وأثبت السيد عبودية العبد تقطع اذنه.

وعليه كانت اغلب العقوبات من جنس العمل ومشابهة لدرجة الخطأ أحيانا.

**ثالثاً: الخاتمة Conclusion**

كتبت الخاتمة بأسلوب قانوني منظم فيه خطاب موجه بصيغة التعميم لكافة الاشخاص يدعوهم الى احترام هذا القانون من خلال تحديد اهدافه وصلاحياته لأنه صادر من الحاكم حمورابي وهو ينتهي بعقوبة الالهة عند المخالفة .

**المطلب الثاني: مساهمة مدونة حمورابي في فكرة جودة القانون**

**Hammurabi Blog Contribution to the idea of the quality of law**

تَميَّز قانون حمورابي بأسلوبه الموجز إيجازا شديدا، وصياغة أحكامه في صورة حالات فردية حقيقية أو مفترضة وعدم احتوائه على مبادئ وقواعد عامة إلا في القليل النادر. ولذلك فإن كل فقرة من فقراته تتكون من جمل شرطية مثل -إذا فرض أن ..-. وقد سار واضع المدونة على خطة منطقية تقوم على أساس الجمع بين الحالات التي ترتبط فيما بينها بوحدة الفكرة التي تدور حولها. وهذه الخطة تختلف عن التبويب السائد في التقنيات الحديثة، ولذلك تبدو لنا المدونة كما لو كانت غير محكومة بأي ترتيب فني أو منطقي. ولعل هذا الأسلوب في الصياغة وطريقة التبويب يرجعان إلى أن رجال القانون في العراق القديم قد انصرفوا عن دراسة القانون كعلم واقتصروا على البحث عن الحلول العملية للمشاكل اليومية دون بذل أي محاولة لاستخلاص قواعد عامة من هذه الحلول الفردية على خلاف مسلك الفقهاء الرومان. (ابو طالب ،1978: 130) .

وقد تميزت المدونة بعدة **خصائص** ساهمت في جودتها نوجزها كالآتي:

- المدونة تشريع علماني بحت والرأي السائد أن قانونه ليس تشريعا دينيا لخلوه من الأحكام الدينية كالعبادات وتقديم القرابين ولا يجمع بين الجزاءين الدنيوي والأخروي.
- امتاز القانون بالمنهج الافتراضي حيث صيغت أحكامه على حالات فردية حقيقية أو مفترضة عكس بوضوح حالة المجتمع البابلي وصول المجتمع إلى درجة المدينة وأصبحت السلطة والأحكام هي التي تتولى متابعة الجاني ومعاقبته وعرفت النقود مع نظام المقايضة.

- امتاز القانون بالتبويب العملي وأسلوب الايجاز فتقدم عن التشريعات التي سبقته أو التي جاءت بعده.
- مستمد من التقنينات السابقة وتصنيفها ، حيث يبدوا أن تقنينه تجميع منقح لمواد تشريعية سابقة ومن مظاهر هذا التأثر تقسيم القانون إلى مقدمة مضمون وخاتمة ، ومضمون المواد يبدأ بعبارات إذا واحتوائه على نفس المصطلحات التي سبقته مثل المهر تحرير العقد واستعمال فعل أخذ مثل الرجل يأخذ المرأة كزوجة.
- ساهمت قوانينه في تعزيز وحدة البلاد سياسيا وقانونيا.
- تضمن قانون حمورابي اصلاحا اجتماعيا فاهتم بالأسرة وأعطى المرأة قانونيا كاملة ومنع تعدد الزوجات إلا للضرورة وحق الطلاق.

أما عن مضمون المدونة فلم تتضمن مدونة حمورابي تجميعا لكل القواعد العرفية وإدخال التعديلات الضرورية عليها ولكنها اقتصرت على تقنين بعض الموضوعات التي تحتاج إلى تعديل في أحكامها أو التي اختلف الرأي حولها وترك بقية الموضوعات للأحكام المستقرة في العرف. ولذلك خلت المدونة من القواعد والمبادئ العامة واقتصرت على بعض الحلول الفردية حيث تعرض لكل حالة على حدة والحكم المناسب لها في سائر فروع القانون. وقد اهتم حمورابي بنظام الإصلاح الاجتماعي فهو يحاول أن يحمي الضعيف من القوي ويضمن حريات الأفراد. وهذه الأحكام وتلك تعتبر تقدما كبيرا في كثير من النواحي بالمقارنة بما سبقها من أحكام في المدونات التي سبقت حمورابي ببضعة قرون في بلاد ما بين النهرين، بل إن أحكام مدونة حمورابي تفوق في عدالتها وتقدمها الأحكام التي تضمنتها كثير من المدونات التي صدرت في بلاد الغرب بعد ذلك بعدة قرون مثل مدونة الألواح الاثني عشر عند الرومان القرن الخامس قبل الميلاد». غير أن قانون حمورابي تميز بقسوة أحكامة الجنائية سواء بالمقارنة بما سبقه من مدونات في بلاد ما بين النهرين أم بالمدونات الغربية التي صدرت بعده، فالقصاص والقطع والاعدام من العقوبات التي تجد مجالا كبيرا في التطبيق. ويضاف إلى ذلك أنه يقر الفوارق بين الطبقات كما كان الحال في المجتمع البابلي القديم خلافا لما فعله قانون الألواح الأثنى عشر عند الرومان فيما بعد إذا انقسم المجتمع العراقي إلى الأحرار ثم المساكين ثم العبيد الرقيق. وبالرغم من المظهر الديني لقانون حمورابي إلا أن الكثير بين الباحثين ينفي عنها صفة القانون الديني، فهي تكاد تكون خالية من الأحكام الدينية ولا تخلط بين الجزاء المدني والجزاء الديني في أكثر الحالات. وقد صدر قانون حمورابي في صورة لا تختلف كثيرا عن القوانين السابقة له ، رغم أنها ظهرت في صورة وحي إلاهي صادر من الآلهة إلى الملك الحاكم.

## الخاتمة Conclusion:

بفضل اكتشاف الكتابة وتطورها قامت تلك المجتمعات بتدوين بعد قوانينها خاصة في بلاد ما بين النهرين وبلاد النيل فانتشرت وتطورت بسرعة ولعل أفضل مثال على ذلك قانون حمورابي وباقي القوانين العراقية القديمة مثل أورنامو وألبت عشتر وأشتونا وتشريعات الفراعنة والاغريق والرومان. فاتجهت هذه المجتمعات إلى تدوين قانونها ونشره بين الناس إما في صورة مدونات قانونية يصدرها المشرع كالقانون الجنائي أو المدني على سبيل المثال ( القانون المدني الجزائري، رقم 58/75 ، 1975) فهي تفرض قاعدة قانوني ثم تحدد لها جزاءً عن مخالفتها . وقد ظهرت فكرة السيميائية القديمة بعد اختراع الكتابة

التصويرية في بلاد ما بين النهرين قبل العام 3000 قبل الميلاد حيث كانت تدون بالنقش على ألواح من الطين أو المعادن أو الشمع وغيرها من المواد. وتطورت الكتابة من استعمال الصور إلى استعمال الأنماط المنحوتة بالمسامير والتي تعرف بالكتابة المسمارية **وبعدها ظهر** علم السيمياء الدلالي الحديث يستعمل الية الحجية أو الحجاج القانوني كما أتى بها العالم **بيرلمان.** هذا ويعد قانون حمو رابي من اهم القوانين التي كتبت بأسلوب علمي منهجي يصل في جودته لبعض قوانين العصر الحديث اين امتاز القانون بالمنهج الافتراضي وصيغت أحكامه على حالات فردية حقيقية أو مفترضة عكس بوضوح حالة المجتمع البابلي وصول المجتمع إلى درجة المدينة وأصبحت السلطة والأحكام هي التي تتولى متابعة الجاني ومعاقبته وعرفت النقود مع نظام المقايضة. وامتاز القانون بالتبويب العملي وأسلوب الايجاز فتقدم عن التشريعات التي سبقته أو التي جاءت بعده.

## قائمة المصادر والمراجع References


- القرآن الكريم.
- القانون المدني الجزائري الصادر بالامر 58/75 المؤرخ16سبتمبر1975 معدل ومتمم بالقانون05/07 المؤرخ في 13 مايو 2007.
- ارزقي العربي برباش، (2006): **مختصر تاريخ النظم القانونية والاجتماعية**، دار الخلدونية،الجزائر.
- صوفي حسن أبو طالب، (1978):**تاريخ النظم القانونية والاجتماعية**، دار النهضة العربية، القاهرة.
- فايز محمد حسين،(2010): **تاريخ النظم القانونية**، ط1،منشورات الحلبي الحقوقية ،بيروت.
- عبد الحق بلعابد،(2005): **السيميائيات القانونية**، مجلة سيميائيات ، صادرة عن مخبر الليسانيات وتحليل الخطاب، جامعة وهران ،المجلد 1، العدد.1.

# *Legal semiotics And the Structure of Human Civilization*

***DR. KHATOUI ABDELMADJID***
**prof.khatoui@gmail.com**
**khatoui.abdelmadjid@univ-ghardaia.dz**

**Abstract:**
Semiotics came to bring the human sciences closer to The human reality, she is interested in the realization of signs and pictures and their use, hence the manifestation of semiological systems through the relationships between these signs. Semiotics belong, whatever its label, from its origins and its methodology to structural. Semiotics is a field of knowledge that have characterized recent studies, and since its appearance it is concerned with the interpretation of the meanings, the signs, and the symbols. The semiotic method spread in ancient human civilizations, especially legal ones. Through those artifacts discovered in the Mesopotamian, Pharaonic and other ancient civilizations. This historical legacy helped develop the current laws.

**Keyword**: Semiotics, law, human civilization, Mesopotamia, Hammurabi, Tassili